المنهج التحليلي في فلسفة العلم: الماهية والتطبيق

د. إنجي حمدي(*)

تمهيد

منذ بداية القرن العشرين ذهب العديد من الفلاسفة إلى القول بأن التحليل هو كل عمل الفلسفة، أو الفلسفة بأكملها من حيث إن الفلسفة لا تتكون على النحو الذى تتكون عليه العلوم الأخرى. إذ هى لا تقوم في الأساس على محاولة توسيع معرفتنا بالعالم الخارجى، بل على أساس نوع آخر من النشاط يوضح ما نعرفه فعلًا من قبل، وذلك بحل المشكلات التى لا تنتج عن جهلنا بالواقع نفسه بقدر ما تنتج عن الخلط العقلي وسوء الفهم لهذا الواقع(١).

من هذا المنعطف الفكري أضحى التحليل سمة بارزة لدى غالبية التيارات الفلسفية المعاصرة، حيث يتسق المنهج التحليلي مع الطابع العلمي أو الروح العلمية(٢)، فضلا عن أن أدوات التحليل هى أكثر أدوات الفكر فعالية وإيجابية في تناول قضايا الفلسفة والعلم تحديدًا.

إن تطبيقات المنهج التحليلي في فلسفة العلم قد استهدفت تفسير قضاياها الرئيسة على مستويات متنوعة عكست وجهات النظر التى إنطلق منها الفلاسفة في هذا المجال. وعلى الرغم من تعدد التيارات والمدارس الفلسفية التحليلية، إلا إن ثمة قاسمًا مشتركًا بينهم جميعًا وهو انتهاجهم للتحليل، سواء كان تحليلًا لغويًّا، منطقيًّا، رياضيًّا، أو تجريبيًّا... إلخ.

وهكذا فإن موضع الاهتمام في هذا البحث ينصب على دراسة طبيعة المنهج التحليلي واستخداماته في سياق فلسفة العلم من منظور تحليلي نقدي، خاصة في إطار الاتجاهات المعاصرة

(*) د. إنجى حمدى، مدرس فلسفة العلوم، كلية التربية، جامعة عين شمس.

(١) محمد مهران، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤، ص.١٤٢.

(2) Hans Johann, What is Analytic Philosophy, Tearema Revista Internacional, Vol. 30. No I, 2011, P. 13.

في فلسفة العلم. فثمة تحول في النظر قد طرأ على مسألة أهمية وجدوى استخدام المنهج العلمى ومنهج التحليل على وجه خاص. فهناك تيار فلسفي ضد فكرة المنهج عمومًا، ويرى أنصاره أن الفلسفة التحليلية بأدواتها تعاني من أزمة هوية، وربما تكون في طريقها إلى الزوال، فإلى أى حد يصدق هذا الزعم؟

أحيانًا تنتج إشكالات عندما يكون ثمة تعارض بين موضوع التحليل والقضايا التى تكون تحليلا له. فما هى الشروط والقواعد الضرورية والكافية التى تضمن الاستخدامَ السليمَ لمنهج التحليل دون الوقوع في التناقض؟ وهل هذه الإشكالات ناتجة عن قصور في المنهج التحليلي، في الإجراءات والعمليات التى يتضمنها، أم في المنظور أو الرؤية التى يتم من خلالها توظيف هذا المنهج، في الغرض الذى يسعى الفيلسوف إلى تحقيقه من وراء عملية التحليل. يقودنا هذا إلى سؤال أعم: هل منهج التحليل مُجْدٍ أو مفيدٌ على النحو الذى يُوظف فيه من قبل فلاسفة العلم؟

حسبنا في هذا البحث أن نلقيَ الضوء على تلك القضايا والإشكالات من خلال عرض وتحليل وجهات النظر المختلفة لأصحابها.

أولًا: طبيعة المنهج التحليلي

التحليل في منحاه اللغوى، إذا ما نحن تقصينا معناه في (لسان العرب لإبن منظور) نجد أنه مأخوذ من مادة (حلل) التى تفيد كلمة (فك) كل مركب إلى عناصره البسيطة[١]. أما في ماهيته الاصطلاحية الفلسفية فيراد منه التوضيح عن طريق إبراز ما هو متضمن من عناصر بسيطة في الموضوع والتى تكون غامضة بسبب طريقة تركيبها[٢].

والتحليل كمنهج عام - يصلح لمختلف الموضوعات العلمية - يُراد به تقسيم الكل إلى أجزاء ورد الأشياء والقضايا إلى عناصرها مادية كانت أم معنوية. نقوم فيه بفرز وتقسيم أجزاء معينة من الكل ودراستها على حدة، حتى يمكن إدراكها إدراكًا واضحًا. فهو يبدأ بفكرة كلية غامضة وينتهى إلى أجزاء محددة وواضحة، مما يجعله - كما يقول د.محمود قاسم - أشبه بالمنهج الاستقرائي الذى ينتقل فيه الذهن من المجهول إلى المعلوم. فمثلًا إذا وجدنا شيئًا نجهل

(١) ابن منظور، لسان العرب، اعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب بيروت، مادة حلل، ص٢٠٦.
(٢) كمال طرابيشى، قراءة في الفلسفة التحليلية المعاصرة، مجلة الحكمة، العدد رقم ٣١، ٢٠١٤، الجزائر، ص١٣٩.

طبيعته ووظيفته بدأنا بالبحث عن بعض الخواص أو العناصر التى يحتوي عليها والتى سبقت لنا معرفتها، فإذا أمكن الإهتداء إلى بعض هذه الخواص أو العناصر كانت عونًا على معرفة بقية الخواص والعناصر الأخرى. وحينئذ نرى أن المرء لا يعمد إلى تحليل الأشياء المادية، أو الحوادث أو المعاني الكلية إلا لأنه يجهل حقيقتها جهلًا تامًّا، فإذا عرف عناصر الشيء وما بينها من علاقات انتهى إلى تكوين فكرة واضحة عن هذا الشيء[١].

وفي هذا الإطار المنهجي يتعالق التحليل مع عدة معانٍ وعمليات ذهنية أخرى مثل القسمة، فتقسيم الشيء، يعنى الإهتداء إلى العناصر أو الأجزاء التى يتكون منها، أما التحليل فهو في مرتبة أعلى لأن الذهن وهو بصدد عملية التقسيم يدرك العلاقات التى ترتبط بها الأجزاء وتنتظم على نحو معين، ومن ثم فهو يعرفنا بالعلة. أما الأجزاء في القسمة فمقدارها من التركيب يساوي تماما مقدار الأصل المحلل، وبالتالي فالقسمة لا تفسر شيئًا[٢].

كذلك يرتبط مصطلح التحليل بالتركيب في علاقة جدلية، حيث يفترض كلٌّ منهما الآخر، فتحليل المركب أو الكل إلى أجزاء يعنى افتراض الكل مسبقًا، لأنه إذا لم يكن أمام الذهن شيء مرتبط فإنه لا يستطيع أن يحل أو يفك[٣]. وعملية التحليل ذاتها جزء منها تقسيم وتجزئة، وجزء آخر إعادة بناء وتأليف لمكون جديد أبسط وأوضح من الأصل. وهو ما ذهب إليه «كوندياك» الذى يرى أن المنهج التحليلي يقوم على النظر في نظام تعاقبي إلى صفات شيء ثم إعادة ترتيبها لتعطي في العقل النظام المماثل الذى توجد عليه[٤]. وهكذا فاننا في التحليل نستطيع أن نسير من المركبات إلى عناصرها المولفة منها ومن الحركات إلى القوي المحدثة لها، وعلى وجه العموم من المعلولات إلى عللها، ومن العلل الأخص إلى العلل الأعم، إلى أن ينتهي البرهان إلى أعم العلل.أما في التركيب فنقوم بالتسليم بالعلل المكتشفة واقرارها على إنها مبادئ، ثم نفسر الظواهر ابتداء منها[٥].

---

(١) محمود قاسم، المنطق الحديث ومناهج البحث، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٥٣، ص٢٠٣.

(٢) إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٨، ص٦٠.

(٣) عبد الرحمن بدوى، الموسوعة الفلسفية المختصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٤، بيروت، ص٤٢١.

(٤) أندرية لالاند، الموسوعة الفلسفية ترجمة، خليل أحمد خليل وأحمد عويدات، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠١، المجلد الأول. ص ٦٦.

(٥) عبد الرحمن بدوى، الموسوعة الفلسفية، ص٤٢٢.

والتحليل والتركيب مرحلتان متكاملتان في سلم المعرفة، ففى مرحلة التحليل نفرز في الموضوع الصفات التى تجعل منه جزءا من الكل. أما في مرحلة التركيب فإننا نعي الكل مؤلفا من أجزاء مترابطة على نحو معين. وبفضل ذلك يتم التحليل في مجرى المعرفة من خلال التركيب، ويتم التركيب من خلال التحليل[١]، وإن كان ثمة من يتصور أنه لا يمكن التمييز بين العمليتين على نحو حاسم لأن ما هو (تركيب) أو بناء من وجهة نظر معينة هو تحليل من وجهة نظر أخرى، ليترتب على ذلك أن كل فعل فلسفي هو فعل تحليلي تركيبي بصيغة من الصيغ.

وفي سياق آخر يستخدم التحليل بمعنى (الترجمة)، حلل تعنى ترجم الجملة أو العبارة أو القضية إلى مجموعة قضايا مكافئة لها وهنا يكمن التحليل في وضع سلسلة قضايا (مقترحات) بدءًا من القضية التى يراد البرهان عليها وصولا إلى قضية معلومة[٢].

لقد اختلفت وظيفة المنهج التحليلى مع تقادم العصور، فبعد أن كان التحليل لتوضيح الأفكار كما كان الحال بالنسبة «لسقراط» عن طريق السير من الأمثلة الجزئية إلى ما وراءها من مبادئ عامة، أصبح التحليل في الفلسفة الحديثة على يد «ديكارت» و«ليبنتز» تحليلًا للوجود. وعلى يد لوك وهيوم تحليلًا للمعرفة ليردوها إلى وحداتها الأولية. فكان الذي يجمعهم هو تحليل المركب إلى عناصره الأولية البسيطة على الرغم من اختلاف موضوع التحليل[٣].لقد استُخدم التحليل عند اليونان وفي العصور الوسطي وأوائل العصر الحديث بالمعني الذي كان له عند الرياضيين، أي كما يقول اقليدس «التحليل يبدأ بالتسليم بما يُفحص عنه ويُنتقل منه إلى ما ينتج عنه خلال نتائج مختلفة".والتحليل بهذا المعني هو إما حل المركب إلى البسائط التي يتألف منها وإما ارتداد حلال سلسلة منطقية من القضايا إلى قضية يُقر بأنها بينة، وذلك بالابتداء من قضية يُطلب البرهنة عليها ويُسلم بأنها صحيحة.وهذا المعني نجده عند جاليليو وديكارت وهوبز...وغيرهم.[٤]

هذه النظرة قد اختلفت في الفلسفة المعاصرة وفي سياق فلسفة العلم تحديداً، حيث أصبح تحليل اللغة بمثابة المنهج العلمي الجديد في الفلسفة، لا من حيث هى ألفاظ وإلا كان ذلك

(١) إبراهيم مصطفى، نقد المذاهب المعاصرة، ص٦٢.
(٢) اندريه لالاند، ، ص. ٦٧
(٣) عزمى إسلام، لودفيج فتجنشين.
(٤) عبد الرحمن بدوى الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص٤٢٢.

الميدان خاصا بعلماء اللغة، بل من حيث ما تشير إليه من أفكار ومعرفة وبالأخص تلك المتعلقة بالعلوم، ولكن دون التدخل بوظيفة العلماء، وإنما فقط يكون التحليل للوقائع والقضايا إلى مكوناتها البسيطة بغرض توضيحها. والتوضيح لا يضيف إلى معرفتنا معرفة جديدة بقدر ما يبرز ما نعرفه من قبل بشكل غامض[١].

والتحليل من حيث هو توضيح له أهمية كبيرة لدى فلاسفة التحليل المعاصرين في إظهار أن كثيرًا من المشكلات التى تتحدث عنها الفلسفة بشكل عام إنما ترجع إلى سوء فهم لمنطق اللغة. لذا فإن الغاية من التحليل هى الوصول إلى الدقة والوضوح بتحليل المعاني والرموز وحتى الوقائع العلمية اقتداءً بالعلم ومناهضة للاتجاه الشمولي الهادف إلى بناء أنساق ميتافيزيقية[٢]، وخير من مثل هذا الاتجاه هم فلاسفة كيمبردج (مور، رسل، فتجنشتين) وأصحاب الوضعية المنطقية ممن حاولوا الاستعانة بالمنطق أداة لعملية التحليل.

وحري بنا أن نتوقف عند هؤلاء الفلاسفة الذين اتخذوا من التحليل المنطقي للغة منهجًا للفلسفة، نلتمس من خلالهم ملامح وخصائص هذا المنهج.

ثانيا: تطبيقات المنهج التحليلي في فلسفة العلم

تُوصف الفلسفة التحليلية بأنها ثورة فلسفية، بدأت في كيمبردج بإنجلترا، وكان كلا من (مور، رسل وفتجنشتين) قادة هذه الثورة، حيث جاءت هذه الحركة دحضاً للمثالية الهيجلية التى سادت الفكر الأنجليزى في النصف الثانى من القرن التاسع عشر، هادفة إلى إعادة الفكر الإنجليزى إلى مراه الأصيل وهو الإتجاه التجريبى. فنشر مور مقالاً في تفنيد المثالية، ونشر رسل بحثه في طبيعة الصدق ثم مشكلات الفلسفة وتبعه بكتاب معرفتنا بالعالم الخارجى، مما أفقد المثالية قوتها وتأثيرها في القرن العشرين وصحح المسار ليعود الفكر الإنجليزى فكراً تجريبياً[٣].

ومنهج التحليل هو أساس هذه الثورة، فاعتبار التحليل مجرد صورة من الصور التجريبية هو سوء فهم للتحليل - فيما يقول د. محمد مهران - لأن أصالة حركة التحليل تكمن في

(١) عزمى إسلام، اتجاهات في الفلسفة المعاصرة، ص٢٣٣.
(٢) يمنى الخولى، فلسفة كارل بوبر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص٢٤٣.
(٣) محمد مهران، فلسفة اللغة، دار المسيرة، الاردن، ٢٠١٢، ص٢٣.

وضعها لكل طبيعة الفلسفة[١]، وظيفتها، كونها علم أم منهج بحث موضع تساؤل.إنها بداية لحقبة جديدة في الفلسفة بشكل عام، حيث يقال بأن الفلسفة قد خضعت لثورتين عظيمتين في تاريخها، أولها الثورة الديكارتية التى ربطت الوجود بالمعرفة. وثانيها التحول اللغوى حيث أصبحت اللغة هى الموضوع الصحيح للفلسفة، والثورة الثانية مرتبطة بالفلسفة التحليلية[٢].

فقد طُبق المنهج التحليلى على المشكلات الفلسفية في أضواء جديدة، هى أضواء التطورات المعاصرة في المنطق والعلوم الطبيعية، أو أضواء الفروض الأساسية التى نعتقد بها في حياتنا اليومية وحياتنا العملية، أو أضواء منطق اللغة وهو دلالة التركيب الصورى لأنماط العبارات اللغوية على الواقع الذى تعبر عنه[٣].

هكذا ارتبطت الفلسفة التحليلية بالفلسفة العلمية تحديداً وعُد التحليل المنطقى للغة بمثابة المنهج العلمى الجديد. وهو منهج فرض كفايته في القدرة على التمييز بين مفاهيم وقضايا الميتافيزيقا من جانب وفي إيجاد ضوابط علمية صارمة في الفلسفة من جانب آخر[٤].

وفي هذا السياق يجب أن نوضح أن التقارب بين الأتجاه العلمى والفلسفة التحليلة لا يعنى الترادف في المعنى، فحينما يتم تعريف الفلسفة العلمية على أساس المنهج وتتعيين بنيتها على أساس بنية الفيزياء، أو العلوم الصورية - وهذا هو المفهوم من الفلسفة العلمية المعاصرة - يكون في إمكاننا أن نلاحظ بسهولة التقارب بين الاتجاه العلمى والفلسفة التحليلة. فمعظم الذين مارسوا هذا النوع من التفلسف العلمى بنجاح من أمثال رسل، فتجشتين، الوضعية المنطقية وكارناب، يُعدون من الفلاسفة التحليليين. فالفلسفة العلمية بمعناها الدقيق جزء من الفلسفة التحليلية ولكن ليست مرادفة لها في جملتها[٥]. وسوف نركز هنا على هذه النماذج من فلاسفة التحليل من أنصار هذا الاتجاه.

---

(١) المرجع السابق، ص٢٥.

(2) Auron Preston, Prolegomena to any future of analytic philosophy, Met philosophy, Vol. 35, No. 4, 2004, P. 449.

(٣) محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

(٤) محمد مهران، فلسفة برتراند رسل، دار المعارف، القاهرة، ص٢٥.

(٥) محمد مهران، فلسفة اللغة، ص٢٢.

١- برتراند رسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠):

كان رسل Russell من بين الفلاسفة الذين بهرهم العلم ومنجزاته، بينما الفلسفة قد وضعت دعاوى كثيرة وحققت نتائج أقل، فتساءل عن سر ذلك وبدت له الإجابة على ذلك بأن الفلسفة ليست علمية، لأن مناهجها التقليدية وطبيعة الموضوعات التي تتناولها لا يمكن أن تجعلها كذلك، فإذا كان العلم ينتهج المنهج العلمى في الوصول إلى حقائقه، فإن الفلسفة تفتقر إلى هذا المنهج.

ومن ثم تساءل رسل ألا يمكن أن يكون للفلسفة منهج علمى؟

ثم، ألا يمكن لها أن تكون علمية كما هو الحال في العلوم الخاصة؟

وكان الرد عند رسل على هذين السؤالين بالإيجاب، وهناك - فيما يرى رسل - طريقان يمكن بهما للفلسفة أن تقام على دعائم العلم: الأول أن تركز على نتائج العلم العامة وتبحث في إعطاء هذه النتائج عمومية ووحده. والثانى: أن تدرس مناهج العلم وتبحث في تطبيقها مع إدخال التعديلات الضرورية على مجالها الخاص[١].

والجدير بالذكر - هنا - أن رسل لا يستخدم لفظ العلم ليدل به فقط على العلوم التجريبية، بل ليدل أيضاً على العلوم الصورية كالمنطق والرياضيات. فحين ينادى بتطبيق المنهج العلمى في الفلسفة فإن ما يقصده هو تلك العلوم الصورية[٢]. ومن ثم فإن المنهج العلمى الذى يقترحه رسل هو منهج التحليل المنطقى. والسؤال الآن: بأى معنى استخدم رسل منهج التحليل، وما هى خصائصه وما الذى كان يهدف إليه من وراء تطبيقه؟

الموضوع الأساسى للتحليل عند رسل ينصب على (تحليل القضايا Propositions) وبالتحديد أكثر المحتوى الأساسى للأنواع المختلفة من القضايا[٣]، فعند النظر إلى تطبيقات المنهج التحليلى على مجالات الفلسفة المختلفة سواء كان تحليل (للعالم وموجوداته) أو تحليل (للغة) أو تحليل (للفكر) فإن هذا كله يُرد في النهاية إلى تحليل القضايا الزرية البسيطة، ولكن

(١) المرجع السابق، ص٤٨.

(٢) المرجع السابق، ص٤٩.

(3) Jolen Gallagher, Russell, S philosophy of Logical analysis, the palgravema cmillan, England, P. P. VI.

كيف ذلك؟ يرد رسل العالم الخارجي ويحلله إلى وحدات صغيرة هى الوقائع، والوقائع عنده ليست أشياء جزئية، بل تتركب من الأشياء وصفاتها وعلاقتها. فإذا قلت هذا أبيض فإننى أتكلم عن واقعة لا عن شيء، لأننى أتكلم عن شيء متصف بصفة معينة. و إذا قلت هذا الشيء بجانب ذلك فإننى أخبر عن واقعة تشير إلى شيئين أرتبطا بعلاقة معينة[١].

اكتشاف العناصر النهائية أو الوحدات البسيطة الغير القابلة للاختزال إذن هو غاية التحليل المنطقي. فكل مشكلة فلسفية نبدأ دراستها يكون باخضاع مجموعة من المعطيات للفحص والاختبار والمعطيات في (مشكلة العالم الخارجى) هى مواد المعرفة المشتركة التى نفترض صوابها، وهذه المعطيات تنتمى إلى ثلاثة أنواع. النوع الأول: تلك الوقائع التى نستمدها من الخبرة اليومية المعتادة، والثانى تلك الوقائع التى تقدمها لنا الذاكرة والتى نأخذها نقلا عن الأخيرين، والنوع الثالث هو المبادئ العلمية، وليس أمامنا سوى أن تقبل هذه الكتلة من المعرفة المشتركة، بوصفها المعطيات الضرورية للتحليل الفلسفى، ثم يتم إخضاع هذه الكتلة من المعرفة للتحليل المنطقى لإكتشاف العناصر النهائية أو الوحدات البسيطة غير القابلة للإختزال باعتبارها المكونات الأصلية التى ترتد إليها في النهاية كتلة المعرفة المشتركة. ثم توضيح أن هذه القضايا قابلة للترجمة أو التحليل إلى قضايا عن هذه العناصر. (كما هو الحال مع الرياضيات حينما وُجد أن العناصر النهائية هى الأعداد الطبيعية التى يمكن تحليلها إلى فئة منطقية من الفئات).

ومن خلال التحليل نصل إلى المعطيات التى لا سبيل إلى الشك فيها، والتى يسميها رسل (المعطيات الصلبة). و يرى رسل أننا يجب أن نقتصر على هذه المعطيات في بناء العالم الخارجى الذى نريد أقامته على أساس المعرفة التى لا يحيط بها الشك، هذه المعطيات هى وقائع الحس وقوانين المنطق والتى ترتد إليها معرفتنا اليومية المعتادة بالأشياء حولنا، ومعرفتنا العلمية.

وهكذا سوف نستبعد المعتقدات القبلية السابقة على التجربة مثل فكرة (الجوهر الثابت)، فنأخذ قضايا الحياة اليومية ونعيد تسمية حدودها دون افتراض ذلك الجوهر الثابت الذى يمسك بأجزائها. وأوضح مثال على ذلك هو (نصل أوكام) القائل بأن الأشياء يجب أن لا تتضاعف

(١) عزمى إسلام، التحليل في الفلسفة المعاصرة، مجلة الفكر المعاصر، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، مصر، ص٣٩.

أو تتعدد دون ضرورة ماسة، فنحن لا ندرك إلا معطيات الحس ويجب استبعاد الأشياء التى نفترض لها وجوداً موضوعياً يتصف بالدوام.(١)

ويحلل رسل اللغة على نفس النحو الذى يحلل به العالم، فكما أن العالم يتكون من وقائع، فكذلك اللغة تتكون من قضايا تتناول وقائع العالم الخارجى. ولما كان العالم مؤلفا من وقائع بسيطة كثيرة كانت القضية البسيطة هى الوحدة الأولية في اللغة التى تدل أو تشير إلى الوقائع البسيطة في العالم. أو كما يسميها رسل (القضية الذرية) التى لا يمكن أن تنحل إلى ما هو أبسط منها، والتى كما يعرفها رسل في كتابه (معرفتنا بالعالم الخارجى) تثبت أن شيئا معينا يتصف بصفة معينة، أو أن أشياء معينة ترتبط بعلاقة ما مثل القول بأن (هذا أبيض) أو (هذا بجانب ذاك)(٢).

وعليه فإن القضايا الذرية يقابلها في العالم وقائع ذرية. وإذا ما ركبنا قضية من مجموعة من القضايا الذرية، كان هذا التركيب مقتصراً على طريقتنا في تركيب الكلام دون أن يكون له مقابل في العالم الخارجى لأن هذا العالم قوامه (بسائط) ولهذا كان صدق القضية الذرية البسيطة متوقفاً على مطابقتها للواقعة التى جاءت منها تلك القضية لتصفها. أما صدق القضية المركبة فمتوقف على صدق أجزائها كل جزء على حده، ولو أردنا أن نتحقق من صدق العبارة أو القضية المركبة كان لا بد لنا من حلها إلى أجزائها ليتطابق كل جزء بسيط منها مع الواقعة الخارجية التى تقابله(٣).

ولما كانت أغلب عبارات اللغة من النوع المركب، فإننا ندرك حينئذ مدى الفائدة التى تتحقق من استخدام منهج التحليل.

وقد طبق رسل منهجه هذا على كثير من المشكلات الفلسفية، فقد استخدمه في تحليل الموضوعات المادية إلى المعطيات الحسية أو الأحداث، حيث كان يهدف إلى رد الموضوعات المستدل عليها إلى عناصرها البسيطة التى نكون على ثقة منها بحيث نستغنى عن افتراض تلك الكائنات المفترضة. كما طبقه أيضاً في تحليل العقل، حيث رده إلى مجموعة المظاهر وهى الأحداث الذهنية بحيث لم تعد هناك ضرورة لأفتراضه ككائن(٤).

---

(١) فتحى إبراهيم، الوضعية المنطقية: دراسة نقدية بقلم موريس كورنفوث، الهيئة المصرية العامة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٥، ص٩١.

(٢) عزمى إسلام، التحليل في الفلسفة المعاصرة ص٤٠.

(٣) غالب مصطفى، برتراند رسل، دار مكتبة الهلال، مصر، ص٨٧.

(٤) محمد مهران، فلسفة اللغة، ص٥١.

أما في مجال الرموز فقد أطلق منهجه هذا في كثير من المجالات الرياضية والمنطقية واللغوية. وخير مثال لهذا التطبيق هو تحليله للعبارات الوصفية - فيما يُعرف بأسم - (النظرية الوصفية) وهى نظرية منطقية بحته صاغها رسل ليتغلب على صعوبات معينة في فلسفة الرياضيات وكأداة لتحليل مشكلات فلسفية والوصول على حلها.

يتحدث رسل في هذه النظرية عن (الوصف المحدد) وهو العبارة التى تصف شخصاً أو شيئاً معيناً ولا تصف غيره، ومن ثم ترادف أسم العلم الذى يشير إلى هذا الشخص أو الشيء. نقول عن (أرسطو) أنه اسم علم وعن (معلم الأسكندر) أنه وصف محدد، (طه حسين) اسم علم، لكن (مؤلف الأيام) وصف محدد وهكذا.

الفكرة الرئيسية في النظرية الوصفية هى التمييز المنطقى الحاسم بين اسم العلم والوصف المحدد، إذ لا يمكننا الإتيان بقضية تحوى اسم علم إلا إذا كان هنالك ما أو من يشير إلى هذا الاسم في الواقع. بينما يمكننا الإتيان بقضية تحوى وصفاً محدداً ويكون لها معنى، ورغم ذلك لا يتحتم أن يشير هذا الوصف إلى وجود واقعى في الخارج. إذا وضعنا الوصف (الملك الحاضر لفرنسا) أو (ابنه هتلر) في قضية لها معنى، تماماً مثلما أتى بقضية بها أوصاف مثل (الرئيس الثانى لجمهورية مصر) أو (عشيقه هتلر). كل الأختلاف بين القضيتين هو أن القضية التى يرد فيها وصف محدد لا يشير إلى واقع قضية كاذبة، لكن لا زال لها معنى، بينما القضية التى يرد فيها وصف محدد يشير إلى واقع تكون صادقة أو كاذبة حسب الواقعة التى تعبر عنها، وأساس التمييز المنطقى بين اسم العلم والوصف المحدد هو أنه إذا ترجمنا القضية التى بها اسم علم إلى قضية أخرى تكافئها في المعنى، يجب أن يرد اسم العلم في القضية الجديدة، بينما إذا ترجمنا القضية التى بها وصف محدد إلى قضية أخرى تساويها في المعنى فيمكن أن يخلو منها الوصف المحدد. فالقضية (الملك الحالى لفرنسا أصلع) تساويها في المعنى القضية (يوجد فرد واحد على الأقل يحكم فرنسا الآن وأنه اصلع). حين وصل رسل إلى هذه النظرية، طبقها هو نفسه على مشكلات فلسفية ووجد لها حلاً، أمكنه بفضلها أن يقول أن كل القضايا التى تحوى كلمات (صنف) (علاقة) أو (عدد) قضايا يمكن ترجمتها إلى قضايا أخرى تختفى فيها تلك الكلمات، ومن ثم فهذه الكلمات ليست اسماء أعلام، ولا تشير إلى أشياء أو معان لها وجود واقعى، إنها (رموز ناقصة) لا تفهم إلا في سياق قضية[1].

(١) محمد زيدان، مناهج البحث الفلسفى، ص١٠٦.

مفيد القول أن أصالة رسل تكمن في أعماله المتنوعة في (أصول الرياضيات) و(برنكيبا ماتيماتيكا) مع وايتهد، و(مقدمة للفلسفة الرياضية)، (معرفتنا بالعالم الخارجي)... وغيرها من الأعمال التى جعلت منه بحق صاحب الفلسفة العلمية من بين رجال التحليل. والتى كان لها عظيم الأثر في إحداث تغييرات جذرية في الفلسفة الانجليزية. فقد نجح رسل في تطبيق منهج التحليل الفلسفى على معظم المشكلات الفلسفة ووجه اهتمامه بالتحليل للموضوعات العلمية والرياضية والمنطقية للقضايا بأعتبارها المجال الحقيقى للفلسفة. وهذا الموقف الفلسفى لرسل أثر إلى حد كبير في الاتجاهات والتيارات الفلسفية التحليلية المعاصرة ممن استفادوا من منهج رسل وأبحاثه في التحليل المنطقى.

٢- لودفيج فتجنشتين (١٨٨٩ - ١٩٥١):

تعود أهمية فتجنشتين Wittgenstein إلى أن فلسفته وخاصة تلك المتمثلة في (رسالته المنطقية الفلسفية) كانت بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ الفلسفة المعاصرة والمنطق الجديد. ولم يكن ذلك راجعاً إلى ما توصل إليه من نتائج فلسفية بقدر ما رجع إلى المنهج التحليلى الذى اتبعه في بحثه الفلسفى، حتى أن كثيراً من المعاصرين على حد تعبير (دافيد بول) في كتابه (فلسفة فتجنشتين) يؤكدون أن كل طرق التفلسف القديمة أصبحت غير مقبولة منذ ظهور مؤلفات فتجنشتين[١].

لقد أكد فتجنشتين على أن العالم يجب أن يكون له بنية منطقية لغوية، بحيث تعطينا اللغة صورة تامة عن الواقع، فتكون اللغة هى المُعبره عن صور وأشكال هذا العالم[٢]. وقواعد المنطق هى في حقيقة الأمر - إن حللناها - ليست سوى قواعد اللغة فثمة توازى بين كلا منهما على أساس أن صورة المنطق وصورة الفكر شئياً واحد.

وقد تبع فتجنشتين في هذا القول (كارناب)، فضلاً عن الأثر البالغ الذى تركه فتجنشتين في كل التيار الفكرى الوضعى المنطقى، والتحليلى المعاصر الأمر الذى جعل دراسة الفلسفة في اتجاهها التحليلى أو الوضعى المنطقى شيئاً متعذراً بغير دراسة أفكار فتجنشتين[٣]. وهذا

---

(١) عزمى إسلام، رسالة منطقية فلسفية للوقيج متجشتين، تراث الإنسانية، مصر، ١٩٦٦، ص٧٠٩.

(2) Arthur C. Danto, Analytical Philosophy, Social Research, Vol. 47, No. 4, 1980, P. 614.

(٣) عزمى إسلام، رسالة منطقية، ص٧٠٩.

في حقيقة الأمر ما يدعونا إلى تناول فتجنشتين ضمن فلاسفة العلم التحليليين، فلا يستطيع أحد أن ينكر أثره البالغ على أعضاء حلقة فينا - التيار الأبرز - في فلسفة العلم، حيث تعد أفكار فتجنشتين بمثابة الإرهاصة الأولى لهذه الحركة وامتدت حتى فيما بعد كارناب. وفيما يلى سوف نعرض لمجالات تطبيق المنهج التحليلى عند فتجنشتين، والنتائج التى توصل إليها من خلاله.

الفلسفة عند فتجنشتين منهجاً للبحث، ليس من وظيفتها اكتشاف الموجودات، وإنما أهم شيء هو إزالة التناقضات والأخطاء الموجودة لما نعرفه بالفعل[١]. إن الفلسفة منهج يتبع وأسلوب يُصطنع في تناول المشكلات، إنها طريقة لحل المشكلات لا لخلق مشكلات جديدة وإقامة صعوبات أخرى في طريق الفكر الأنسانى.

إن السبب في عدم حدوث تقدم في الفلسفة برأى فتجنشتين، يعود إلى إغفال معنى هام لها هو «كون الفلسفة مسألة إرادة وليس مسألة عقل وفكر فحسب ففى كتابه (أبحاث فلسفة Philosophical Investigation)وضح فتجنشتين تصوره البديل للفلسفة. فهو يزعم أن الفلسفة في المحل الأول إسهام للفهم البشرى وليس للمعرفة البشرية. إذ ليس هناك بنظرة قضايا فلسفية تُكتشف حقيقتها. كما أنه ليس هناك نظريات فلسفية تُثبت أو تُدحض. إن ما يعنيه التفلسف هو العمل والمشاركة الفاعلة في توضيح المفاهيم بما يؤدى إلى نوع خاص من الفهم، وليس إلى تكوين معرفة جديدة. إن الإنجاز في الفلسفة يكمن في إنهاء المشكلات الفلسفية. وهذه نتيجة مترتبة على اعتقاد فتجنشتين بأن مشكلات الفلسفة تتعلق بالمفاهيم والتصورات بالواقع[٢].

وبالتالى فإن حل هذه المشكلات إنما يتأتى عن طريق تحليل عبارات اللغة التى نصوغ فيها تلك المشكلات والتى تعد مصدرها. حيث أن السبب من وراء ظهور هذه المشكلات الفلسفية هو سوء استخدام منطق لغتنا.ومن ثم أعتقد فتجشتين بأن اللغة يجب أن تؤسس على نحو نهائى وضرورى. وكان السؤال الأساسى في كتابه (الرسالة) هو كيف يمكن لأى قول أو خطاب أن يكون له معنى؟ وما هى الشروط التى تجعل المعنى ممكناً؟

(1) Peter C. K Jaergaard, Hert2 and Wittgenstein s Philosophy of Science, Journal of General Philosophy Science, Vol. 33. No. 1, 2002, P. 121.

(٢) وليد أحمد، مفهوم الفلسفة في نظر فتجنشتن، مجلة المنار للبحوث، الأردن، ٢٠٠٧، ص٣٠٧.

وما التحليل الفلسفى عند فتجشتين إلا منهجاً لتوضيح بنية اللغة والعالم، لتوضيح (كيف يمكن للغة أن تكون ذات معنى؟[١].

والتحليل عند فتجشتين - على هذا النحو - لا يضيف إلى معرفتنا معرفة جديدة، ولا ينتج عنه مبادئ جديدة، بل هو مجرد طريقة توضح ما نقوله لكى نتبين - بناء عليها - ما له معنى من كلامنا وما لا معنى له[٢].

وقد طبق فتجشتين منهجه في التحليل على عدة موضوعات هى: تحليل العالم، تحليل الوقائع الذرية، تحليل الأشياء، تحليل اللغة، تحليل الفكر. وسوف نركز هنا على تحليل العالم وتحليل اللغة.

تحليل العالم:

يبدأ فتجنشين رسالته المنطقية الفلسفية بالحديث عن العالم في حين أن الغرض الأساسى من فلسفته في هذه الرسالة هو تحليل اللغة. ربما يكون السبب في ذلك - على نحو ما ذكر د. عزمى إسلام - أن تحليل اللغة بالطريقة التى ذهب إليها فتجنشتين في الرسالة يستلزم تحليل العالم أولاً، لأن صدق أو كذب القضايا الأولية التى تنحل إليها اللغة إنما يتوقف على مدى مطابقتها للواقع الخارجى، لأن القضية الأولية ليست إلا وصفاً لواقعة من الوقائع التى ينحل إليها العالم[٣].

والعالم عند فتجشتين هو جميع ما هنالك، فهو يتكون من كل ما هو موجود. وإن كان وجود هذه الموجودات يتبدى في شكل وقائع لا في شكل أشياء بسيطة منفصلة. ولذا فالعالم عنده هو مجموع الوقائع لا الأشياء. فالواقعة هى الوحدة الأولى التى ينتهى إليها تحليل العالم وإن كانت هى نفسها تنحل بدورها إلى أشياء.

والواقعة إما مركبة تتكون منها وقائع أخرى أبسط منها وإما بسيطة لا تتكون من وقائع أخرى أبسط منها، ويسميها فتجشتين بالواقعة الذرية. ومن ثم فإن الواقعة الذرية بسيطة من حيث أنها أبسط مستوى من الوقائع التى يمكن أن ينتهى اليه تحليلنا للعالم. وفي الوقت ذاته

(١) المرجع السابق.
(٢) عزمى إسلام، رسالة منطقية، ص٧١٦.
(٣) المرجع السابق، ص٧١٧.

هى مركبه - وليس في هذا تناقض - بمعنى أنها قد تتكون من أشياء أو عناصر بسيطة. وهذا ما يفسر قول فتجنشتين إن العالم مجموع الوقائع لا الأشياء، لأن الأشياء بالنسبة له ليس لها وجود مستقل منفصل عن الواقع التى تدخل في تكوينها. وكما أننا لا نستيطع أن نتخيل الأشياء المكانية خارج المكان ولا الأشياء الزمانية خارج الزمان. فكذلك لا نستطيع أن نتخيل شيئاً معزولاً عن إمكان ارتباطه بأشياء أخرى.والطريقة التى تتشابك بها الأشياء في الواقعة الذرية يسميها فتجشتين (بنية الواقعة)[١].

تحليل اللغة:

تحليل اللغة هو الهدف الأساسى من فلسفة فتجشتين بصفة عامة. وهو حين يحلل اللغة ينتهى إلى أبسط وحدة نصل إليها وهى القضية لا الإسم، كما كان الحال في تحليله للعالم حين انتهى إلى الوقائع لا إلى الأشياء. فاللغة هى مجموع القضايا، كما أن العالم هو مجموع الوقائع[٢].

والسؤال الآن: كيف نعرف العالم الخارجى؟ أننا نعرفه من خلال الوقائع الذرية، فالوجود الخارجى - حسبما يرى فتجشتين - هو وجود أو عدم وجود للوقائع الذرية. لكن كيف تتم هذه المعرفة؟ يرى فتجشتين أننا نُكَون لأنفسنا رسوماً أو صوراً للواقع. والرسم نموذج للوجود الخارجى[٣]، ومن ثم فإن العلاقة بين اللغة والعالم الخارجى هى كالعلاقة بين الرسم والمرسوم، أو الصورة والأصل. ويتوقف صدق أو كذب الوحدات الأولية للغة (القضايا) على وجود أو عدم وجود وحدات العالم (الوقائع) الأولية ومطابقتها له أو عدم مطابقتها. ومن مجموع الصور اللغوية يتكون العلم ومن مجموعة الوقائع يتكون العالم[٤].

يوظف فتجيشتين منهجه في التحليل اذن على إيجاد نوعاً من التجانس بين بنية الواقع وبنية الفكر، فإذا كان العالم يتكون من وقائع تنحل إلى وقائع ذرية فإن الفكر أيضاً يتكون من قضايا مركبة تنحل إلى قضايا بسيطة، كى تزداد وضوحاً.ومن ثم فإن التحليل كمنهج هو تحليل للغة على نحو منطقى.

---

(١) المرجع السابق، ص٧١٨.

(٢) المرجع السابق، ص٧١٩.

(٣) مها أحمد، اللغة والمعنى عند فتجشتين، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، الاردن، ٢٠١٦، ص٣٠.

(٤) جعيدامى نصيره، إشكالية اللغة في فلسفة فتجشتين، مجلة دراسات فلسفية، الجزائر، ص٥٠.

فالمنطق في نظر فتجيشتين هو خريطة لكل الإمكانيات، أى كل ما يمكن تصوره والتفكير فيه، فالمنطق يكشف لنا عن بناء أو تركيب اللغة. ومن ثم يكشف لنا عن بناء أو تركيب العالم فالفكرة التى يريد فتجنشتين تأكيدها هنا هى أن البناءين في حقيقتهما بناءٌ واحداً. فبناء أو تركيب اللغة هو صورة أو مرآة لبناء أو تركيب العالم، وكلا البناءين ينكشف بالمنطق. فتركيب القضية الصادق يطابق تركيب الواقعة التى تدل عليها، ويجب أن توجد - في كل صورة - علاقة واحد بواحد بين عناصر الصورة وعناصر ما نتصوره، أو يوجد شيء مشترك بين الصورة وما تصوره.

ولكن هناك من يرفض هذه النظرية التصورية مثل (نيلسون جودمان N.Godman)، حيث يرى أن النقد الخطير الذى يمكن توجيهه إلى نظرية فتجنشتين في اللغة باعتبارها صورة أو مرآه، هو أن الوصف لا يمكنه أن يقوم بعملية تمثيل أو تصوير للواقع باعتباره كذلك. فلا يمكن للصورة أن تقوم بعملية تمثيل أو تصوير للواقع باعتباره كذلك. فلا يمكن للصورة أن تقوم بعمل من هذين العملين. فهو يرفض النظرية التصويرية في اللغة على أساس أن بنية الوصف لا تتفق أو تتطابق مع بنية العالم.

يتابع فتجنشتين تحليله للغة، حيث يصنف قضايا اللغة التى لها معنى إلى نوعين:

أولا: قضايا المنطق والرياضيات، وهى القضايا التى يصفها فتجنشتين بأنها تحصيلات حاصل، فهى قضايا تحليلية. وقد كان فتجشتين هو أول من استخدم مصطلح تحصيل حاصل، وهذه القضايا صادقة بالضرورة لأنها تتلاءم مع كل الإمكانيات كالقضية التى تقول إما أن السماء تمطر أو لا تمطر إن قضايا تحصيل الحاصل ليس لها أى دلالة إشارية الوقائع، فهى تتعلق ببنية اللغة وفي المقابل نجد قضايا تزعم لنفسها صفتى الضرورة والواقعية معاً، بمعنى أنها تزعم أنها صادقة في كل عالم ممكن، وهذه هى القضايا الميتافيزيقية وهى القضايا التى توصف بأنها كلام فارغ. إن الداء المتأصل في الميتافيزيقا هو محاولة أن تقول ما لا يمكن قوله. وأحد أسباب ذلك هو توهم الفلاسفة أن الصورة النحوية تناظر الصورة المنطقية[١].

ثانيا: قضايا واقعية وهى القضايا التجريبية أو العلمية ذات المعنى، التى تتحدث عن

(١) محمد مهران، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص١٨٢.

الوجود الخارجي، فتجئ رسما له سواء كان هذا الرسم مطابقاً للواقع فتكون القضية صادقة أو غير مطابق لما يوجد عليه الواقع فتكون كاذبة[١].

وعلى هذا النحو فإن الضرورة الوحيدة التى يمكن الاعتراف بوجودها موجودة فقط في قضايا المنطق والرياضيات، ولا يقول العلماء شيئاً عن العالم الخارجي ومن ثم فليس هنا ثمة ضرورة في العالم. إن بإمكاننا أن نستدل قضية من قضية أخرى في حالة واحدة فقط إذا كان هناك ارتباط داخلي بين القضيتين فلا يمكن أن نستدل واقعة من واقعة أخرى مختلفة عنها. فلا يمكن بأية حال أن يتم الاستدلال من وجود أمر من أمور الواقع على وجود أمر آخر مختلف عنه كل الأختلاف. ومن ثم فقد أعلن فتجنشتين لنا أننا لا نعلم ما إذا كانت الشمس ستشرق غداً. فالقول بأن الشمس سوف تشرق غدا عبارة عن افتراض وذلك يعنى أننا لا نعرف ما إذا كانت سوف تشرق أم لا، فالضرورة لا تكون إلا ضرورة منطقية[٢].

هكذا أسس فتجنشتين للغة والمعنى. فقد كانت أفكاره في الرسالة تدور في هذا الأطار: كيف يمكن للغة أن تكون ذات معنى؟ وقد أجاب بأمكان ذلك عن طريق التحليل المنطقى، فإن التحليل وحده هو القادر على إظهار ما إذا كانت القضية صادقة أم كاذبة أم تحصيل حاصل أم خالية من المعنى تماماً مثل قضايا الميتافيزيقا.

يمكن أيضاً أن نلتمس ملامح برجماتية في فلسفته، فالمنطق والتحليل كلها أدوات، أو مسائل تعين على الفهم وتوضح الأستخدام السليم للغة.

هذه الأفكار لفتجشتين قد تم تطويرها من قبل الوضعية المنطقية فقد تأثر (رودلف كارناب) بفكرته عن خلو قضايا الميتافيزيقا من المعنى، وليس أدل على ذلك من أن كارناب خصص لهذا المعنى مقالاً بعنوان (حذف الميتافيزيقا باستخدام التحليل المنطقى للغة). فضلاً عن تأثيره في (آير) وخاصة فكرته عن تحقيق القضية وارتباط معناها بمدى مطابقتها للواقع.

٣- الوضعية المنطقية

تعد حركة الوضعية المنطقية Logical Positivism من أبرز الحركات الفلسفية

(١) عزمى إسلام، رسالة منطقية، ص٧٢٠.

(٢) محمد مهران، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص١٨٤.

التحليلية المعاصرة. وتعود أصول هذه الحركة إلى مصادر عدة، فقد كان هيوم بفلسفته التجريبية، وليبنتز بمنطقه الذى يُفرق بين حقائق العقل وحقائق الواقع، وكانط بتحليله للعقل وقوله باستحالة الميتافيزيقا التى تستنبط من مبدأ أول، وكونت بمذهبه الوضعى، كان هؤلاء جميعاً من الرواد اللذين مهدوا الطريق كل من جانبه، لكى ينتهى إلى ما انتهى إليه في القرن العشرين من حركة فلسفية عُرفت أول ما عُرفت باسم الوضعية المنطقية، تميزا لها عن وضعية كونت وغيره، وإنما سميت بهذا الاسم لأنها ترفض ما ترفضه وتقبل ما تقبله على أساس (المنطق) وحده، أى على أساس تحليل العبارات والألفاظ تحليلاً يُبين حقيقة بناءها[١].

هذا التيار نشأ أول ما نشأ تحت مسمى (دائرة فينا)، كحلقة بحث فلسفى أو سيمنار تكون عام ١٩٢٢ يتصدره الأستاذ (مورتس شليك Schlick) استاذ كرسى العلوم الأستقرائية في جامعة فينا. وبعد عام من إنشاء هذا السيمنار بدأ الأساتذة والطلاب ينضمون إليه، بحيث أصبح هذا السيمنار يضم أقطاباً وأعلاماً بارزين من المناطقة والرياضيين والفيزيائيين وغيرهم، ومن أهم هؤلاء (هانز هان، هربرت فايجل، كرافت، كارت جودل، ثم إنضم اليهم كارناب واير).[٢]

وهكذا نستطيع أن نستبين وجود ثلاثة روافد أثرت في نشأة هذه الحركة.

- أنها تأثرت بالفلسفتين التجريبية والوضعية السابقتين عليها وخاصة عند هيوم، حون ستيوارت مل، ارنست ماخ وبوانكاريه. وقد عبر (هانز هان) عن هذا بقوله «أننا نُعرف أنفسنا على أننا استمرار للحركة التجريبية في الفلسفة. إلا أنها تختلف عن الفلسفة التجريبية التقليدية في أنها ارادت أن تعيد بناء المنطق، لا بردة إلى التجربة كما فعل (مل) وإنما بالتعرف على حقيقته. وهكذا حاولت جماعة فينا أن تربط التراث التجريبى بالتطور الجديد في المنطق.
- قد تأثرت الوضعية المنطقية بعلم المناهج الخاص بالعلم التجريبى كما تطور على يد العماء منذ منتصف القرن التاسع عشر، مثل (ماخ) (بوانكاريه)، (ودوهيم).

(١) زكى نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٨٠، ص٥٠.
(٢) ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ص٢٧٩.

- كما تأثرت بالمنطق الرمزى والتحليل المنطقى للغة، كما تطورا عند كل من (جوتلب فريجه) (ورسل وفتجنشتين)[١].

وهكذا فإن الوضعية المنطقية هى نتاج للإتحاد بين الاتجاه التجريبى والمنطقى، الاتجاه التجريبى التقليدى بدأ من هيوم ومن ثم تطور وتم ربطه بالمنطق في أعمال فريجه ورسل وفتجنشين[٢].

هذه الحركة لا تعدو أن تكون محاولة لتطبيق المنطق والمنهج العلمى على مشكلات الفلسفة[٣]، فقد جعلت من قضايا العلوم موضوعها الرئيسى، تتناولها بالتحليل المنطقى ولكن دون أن تتعرض لمضمون تلك القضايا العلمية بأى وجه من الوجوه. إذ المضمون التجريبى لقضايا العلوم هو من شأن العلماء كل في ميدان تخصصه. وهذه قاعدة أولية من قواعد الفلسفة الجديدة التى مثلتها الوضعية المنطقية خير تمثيل. وهى ألا شأن للفلسفة بأى شيء مما يتصل بأمور الواقع، لأن هذا هو شأن العلماء، وأما الفلسفة فمهمتها الوحيدة هى التحليل والتوضيح لما يقوله العلماء. من خلال تحليل البناء المنطقى الذى يحمل مادة تلك القضايا. وبعبارة أخرى لئن كان العلم معنياً بالمعرفة من حيث مضمونها، فالفلسفة معنية بالمعرفة من حيث إطارها وهيكلها وهذا الإطار أو الهيكل قوامه ألفاظ لغوية تتركب على هذه الصورة أو تلك فتكون هذه الفكره أو تلك. ومن ثم فإن مهمة الفلسفة عند أنصار الوضعية المنطقية تنصب على تحليل العبارات والألفاظ من حيث بناؤها المنطقى العام. وتحليل العبارات والألفاظ على هذا النحو، هو نفسه تحليل للفكر من حيث صورته، لا من حيث مادته[٤].

فاللغة تخدم أغراضاً كثيرة منها تمثيل الوقائع أو القوانين والاضطرابات التى في الطبيعة والمجتمع، ومنها أيضاً عرض صور الخيال والتعبير عن العواطف أو إثارتها، وأخيراً تحريك وتوجيه الأفعال أو تعديلها، ومن ثم فقد ميز الوضعيين في العبارات بين:

- المعنى المعرفى أو الواقعى أو ما يمكن أن نصفه بالمعنى الوضعى.

---

(١) محمد مهران، مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، ص١٩٧.

(2) Albert. Blumber and Herbert Feigel, Locical Positivism, The Journal of Philosophy, Vol. 28, No 11, 1931, P. 282.

(3) E. Hutten, A Critique of Logical positivism, The British Journal for Philosophy of Science, Vol. 2, No. 6, P. 172.

(٤) زكى نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، ص ٦٤ - ٦٦.

- المعنى الانفعالى أو التعبيرى للعبارات.

وقد أكد الوضعيين المناطقة على ضرورة عدم الخلط بين التعبيرات ذات الفحوى الانفعالى وبين التعبيرات ذات المعانى المعرفية على الأصالة[١].

أهم الأسس والمبادئ التى قامت عليها الوضعية المنطقية إذن هى:

١. رفض الميتافيزيقا واستبعادها من مجال البحث الفلسفى، على أساس أن عباراتها لا يمكن إثباتها أو التحقق من صدقها، فليس ثمة قواعد لغوية لاستخدام هذه العبارات التى يشير إليها أصحابها (الميتافيزيقيين) باعتبارها حقائق.

٢. صياغة ما يسمى (معيار التحقق من المعنى) وهو مبدأ الهدف منه محاولة إعادة بناء - بالمصطلحات المنطقية - استخدام العبارات والقضايا الواقعية سواء في السياق العلمى أو الحياة اليومية، من خلال التحقق من وجودها تجريبياً تحقيقاً مباشراً أو غير مباشر.

٣. إعادة تأسيس النظرية الأخلاقية[٢].

والمنهج التحليلى هو الفعل الذى يكمن فيما وراء هذه المبادئ جميعها. استخدم أولاً لتحليل مفهوم الفلسفة ذاته وإعادة تقييمه، ومن ثم بناء مفهوم جديد يحصر الفلسفة في وظيفتى التحليل والتوضيح لقضايا العلم والحياه اليومية وتحديد القضايا ذات المعنى واستبعاد تلك الخالية من المعنى.

ولقد تطورت الوضعية المنطقية في اتجاهات عده، إبتداء من عام ١٩٤٠ تقريباً، وأبرزها إتجاهان: اتجاه (كارناب Carnap) وأتجاه (آير Ayer) فضلاً عن تحليلات (شيك Schlick) التى كانت بمثابة نقطة الانطلاق لأعضاء هذه الحركة. وقد تجلت ملامح المنهج التحليلى - في صورته المنطقية - بوضوح عبر تحليلات هؤلاء الفلاسفة، وعكست مبادئهم خصائص هذا المنهج بميزاته وعيوبه.

تحليل اللغة عند كارناب:

إن المهمة الوحيدة للفلسفة - فيما يرى كارناب - هى العمل على ربط اللغة بالتجربة ربطاً

---

(١) محمد مهران، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ص١٩٩.

(2) E. Hutten, A Critique of Logical Positivism, P. 173.

علمياً والتمييز بين الغامض والواضح منها، وأن تقوم بتحليل العلاقات الخارجية القائمة بين المعانى، حتى نتوصل عن طريق هذا الطريق إلى القضاء نهائياً على المشكلات الزائفة والمفاهيم الخاوية والقضايا الكاذبة. معنى هذا أن ثمة جانبين هامين في عملية تطبيق التحليل المنطقى على دراسة اللغة عند كارناب، الجانب السلبى يتمثل في استبعاد الأحكام الميتافيزيقية من كافة العلوم الطبيعية والرياضية والإنسانية. وجانباً إيجابياً يتمثل في توضيح مفاهيم العلوم ومناهجها والكشف عن عملية تكوين المعرفة البشرية بأسرها بأنها ابتدأت من معطيات التجربة(١).

وفي مقال له بعنوان (حذف الميتافيزيقا عبر التحليل المنطقى) يقر كارناب بأن تطور المنطق الحديث قد طرح أجابة جديدة ودقيقة للسؤال المتعلق بمصداقية ومشروعية الميتافيزيقا. فلقد أفضت أبحاث المنطق التطبيقى التى تهدف - باتباع سبيل التحليل المنطقى - إلى توضيح المحتوى المعرفى الكامن في القضايا العلمية، ومن ثم توضيح الحدود الواردة فيها، إلى نتيجة إيجابية وأخرى سلبية. النتيجة الإيجابية تم تطبيقها في مجال العلم التجريبى، حيث وضحت مختلف المفاهيم في مختلف فروع العلم. أما في مجال الميتافيزيقا، الذى يتضمن فلسفة القيمة والنظرية المعرفية - فقد أدى التحليل المنطقى إلى نتيجة سلبية مفادها: أن القضايا المزعومة فيه تخلو من أى معنى(٢).

ويتابع كارناب قائلاً «عندما أقول إن قضايا الميتافيزيقا المزعومة (تخلو من أى معنى) فإننى أعنى هذه العبارة بمدلولها الدقيق، حيث يقال عن الكلمة أو الجملة (السؤال) إنها تخلو من المعنى إذا لم تكن ثمة جدوى من تقريرها، أى لم تكن جملة ضمن إطار لغة بعينها(٣)، فالجملة حين يكون تكوينها مطابقاً لواقعه ما من وقائع العالم الخارجى مطابقة مباشرة، كانت جملة لغوية بالمعنى الصحيح. وإن كانت الجملة غير مطابقة لواقعة من وقائع العالم الخارجى على الرغم من أنها قد تبدو وكأنها تشير إلى واقعة من وقائع العالم كانت في الحقيقة (شبه جملة) لأنها تشبه الجملة الحقيقية في ترتيب ألفاظها، لكنها لا تؤدى إلى ما تؤديه.

---

(١) حميد خلف على، مفهوم اللغة عند الوضعية المنطقية، كارناب أنموذجاً، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد، ٢٠٠٨، ص٥٤٥.

(٢) أ.ج.مور، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، ترجمة نجيب الحصادى الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، لسيا، ص١٤٠.

(٣) زكى نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، ص ٧٩ - ٨٠.

والتحليل المنطقي هو الذي يبين إن كانت الجملة المعنية تحمل إشارة مباشرة إلى العالم الخارجي، وبهذا يجوز لها أن تكون جزءاً من مادة علم معين، أم أنها بدل أن تشير إلى الأشياء نفسها تتحدث عن مدركات أو قضايا أو نظريات، أي تتحدث لا عن أشياء العالم الخارجي، بل عن الكلمات والعبارات التي تتحدث بها عن تلك الأشياء، ومثل هذا التحليل كفيل أن يوضح لنا متى تكون الجملة ذات معنى (إما ذات معنى مباشر بإشارتها إلى أشياء العالم الواقع، أو ذات معنى غير مباشر بتحدثها عن عبارة أو لفظة تشير إلى أشياء العالم الواقع) ومتي لا تكون[1].

وهكذا فان التحليل المنطقي يوضح أن قضايا الميتافيزيقا مجرد جمل ذائفة. الواقع أن تحليل كارناب للغة هو الأساس الذي استند إليه في رفض عبارات الميتافيزيقا. فهو يوضح بداية أن اللغة تتكون من مجموعة من المفردات والقواعد النحوية، أي أنها تتكون من فئة من الكلمات ذات المعاني وقواعد لتركيب الجمل تبين الكيفية التي يمكن بها تكوين الجمل من مختلف أنواع الكلمات. لهذا السبب يوجد نوعان من الجمل الزائقة، تلك التي تتضمن كلمة يُعتقد خطأ أنها ذات معنى، وتلك التي لا تتضمن مثل هذه الكلمة لكنها تُشكل بطريقة تخترق بها قواعد النحو بحيث تفضي إلى جملة لا معنى لها. أما الكلمات ذات المعنى فهي تلك التي تشير إلى مفهوم. ولكن قد تشير الكلمة إلى مفهوم زائف، فكيف نفسر إذن وجود كلمات لا معنى لها أو زائفة على الرغم من أن اللغة هي ببساطة أداة للتعبير عن شيء أو آخر؛ إن الأمر يستلزم أولاً أن نحدد ما المقصود من (معنى الكلمة)؟ وما هي الشروط التي ينبغي توافرها في الكلمة كي تصبح ذات معنى؟ يتعين أولاً تثبيت نحو الكلمة وذلك بتثبيت طريقة ورودها في أبسط شكل جملة يمكن أن ترد فيها، وهذا ما يسمى الجملة الأولية.فمثلاً شكل الجملة الأولية بالنسبة لكلمة (حجر) هو (س حجر) ففي جمل من هذا القبيل تحتل إشارة من مقولة الأشياء موضع الرمز (س) مثل (هذا الماس)، (هذه التفاحة)، يتعين ثانياً - بالنسبة لأي جملة أولية (ص) متضمنة لتلك الكملة - أن تطرح إجابة للسؤال التالي الذي يمكن صياغته بالطرق المختلفة التالية:

١- ما هي الجمل التي تستلزمها (ص) وما هي الجمل التي تستلزم (ص)؟

٢- تحت أي شروط تصدق (ص) وتحت أي شروط تبطل؟

---

(١) مور، كيف يرى الوضعيون الفلسفة، ص١٤١.

٣- كيف يمكن التحقق من صدق (ص)؟

٤- ما هو معنى (ص)؟

يمكن تحديد معانى مفردات كثيرة - لاسيما الغالبية العظمى من الكلمات العلمية عن طريق إرجاعها إلى مفردات أخرى وهكذا إلى أن نصل في نهاية المطاف إلى كلمات لا يمكن أن ترد إلى غيرها، تسمى (الجمل الملاحظية) أو (الجمل البروتوكولية) وعبر ارجاع الكلمة لهذه الجمل تحصل الكلمة على معنى.

ثم يتابع كارناب تحليله ويلخصه على هذا النحو: إذا كانت (س) كلمة وكانت (ص) الجملة الأولية (البروتوكولية) التى ترد بها، فإن كلا من الصيغ التالية التى تقرر الشيء نفسه - تحدد الشروط الضرورية التى تكفل استحواذ (س) على معنى:

١- معرفة معيارها التجريبى.

٢- اشتراط القضايا البروتوكولية التى تستلزم (ص س).

٣- معرفة منهج التحقق من (ص س).

من ثم نستطيع الآن أن نتبين - فيما تقول كارناب - كيف أن الكثير من المفردات الميتافيزيقية - لعجزها عن استيفاء الشروط سالفة الذكر - تخلو من أى معنى. ويسوق كارناب مثالا على ذلك، من ضمن الكلمات الميتافيزيقية كلمة (مبدأ) بمعنى (مبدأ للوجود) والتى طرح من خلاله أسئلة تتعلق بما هو مبدأ الوجود، أو المبدأ الكامن وراء الأشياء. فهناك من يرى أنه الماء وهناك من ذهب إلى أنه يتعين من الأرقام أو الحركة أو الروح - أو الفكر... إلخ. يقول كارناب يتوجب علينا لمعرفة معنى كلمة (مبدأ) أن نسأل الميتافيزيقيين، تحت أى شروط تصدق القضية (س هو مبدأ ص) وتحت أى شروط تبطل؟ بكلمات أخرى، ما هو معيار تطبيق أو تعريف كلمة (مبدأ)؟ يجيب الميتافيزيقى بشكل يقترب مما يلى (س مبدأ ص) تعنى (ص تنشأ من س)، (وجود ص رهن بوجود س)، (وجود س أساس لوجود ص) وما إلى ذلك.

بيد أن هذه الكلمات - على نحو ما يرى كارناب - تعتبر غامضة، كما أنها تؤدى إلى اللبس وذلك مرده إلى أننا عندما نقول عن شيء أو عملية ما أنه (ينشأ) من شيء آخر، نلاحظ أن الأشياء من النوع الأخير عادة ما تتبعها اشياء أو عمليات من النوع الأول، أى أن هناك علاقة

عليه، قانونية قائمة بينهما وحيث أنه لا يوجد مثل ذلك، فإن المعنى الميتافيزيقى المزعوم غير موجود[١].

والسؤال الآن: ماذا يبقى إذن للفلسفة، إذا كانت كل القضايا القادرة على تقرير أى شيء ذى طبيعة تجريبية تنتمى إلى العلم الواقعى؟ الجواب عند كارناب هو أن ما يبقى ليس قضايا ولا نظرية ولا نسقا، بل منهج هو منهج التحليلى المنطقى. لقد بين النقاش السابق التطبيق السلبى لهذا المنهج، حيث يوظف المنهج التحليلى لاستئصال الكلمات والقضايا الخالية من أى معنى، أما في تطبيقه الإيجابى فإنه يوظف في توضيح القضايا والمفاهيم ذات المعنى، أى في وضع الأسس المنطقية للعلم الواقعى والرياضيات. وهذه هى المهمة المنوط بها التحليل المنطقى وهذا هو المقصود بالفلسفة العلمية في مقابل (الميتافيزيقا)[٢].

التحليل الفلسفى عند الفريد جيلز آير:

حمل الفرد جيلز آير Ayer رسالة الوضعية المنطقية على عاتقه، إضافة إلى تأثره بمور، فتجنشين، ورسل. وفي باكورة أعماله المسمى (اللغة، الصدق والمنطق)، أعرب أير عن نفس المواقف التى وقفها الوضعيون المناطقة، في محاولة تحرير الفلسفة من الميتافيزيقا، على أن تترك للعلم التجريبى البحث عن الظواهر وتقوم هى بتحليل اللغة العلمية وتوضيح قضاياها وذلك استنادا إلى (مبدأ التحقق Verification principle) من المعنى للكشف عن قيمة الصدق في التركيب اللغوى للقضية[٣].

ويؤكد أير فيما يتعلق بوظيفة الفلسفة على أنه ينبغى على الفيلسوف ألا يحاول صياغة حقائق تأملية، أو يبحث عن مبادئ أولى يقينية، أو أن يصدر أحكاماً قبلية تتعلق بصدق اعتقاداتنا التجريبية، وأنما يجب عليه أن يحصر نفسه في أعمال التحليل والتوضيح. ذلك لأن عبارات الفلسفة ليست في حقيقة الأمر - على نحو ما يصف أير - قضايا تتعلق بالواقع وإنما هى عبارة ذات طابع لغوى، بمعنى أن هذه العبارات لا تصف فعل الموضوعات الفيزيائية ولا حتى الموضوعات الذهنية أنها تعبر فقط عن تعريفات أو عن نتائج صورية لتعريفات، ومن ثم يجب النظر إلى الفلسفة على أنها جزء من المنطق[٤].

---

(١) المرجع السابق، ص١٤٣.

(٢) محمد ثابت الفندى، مع الفيلسوف، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص١٧٠.

(٣) محمد مهران، مدخل للفلسفة المعاصرة، ص٢٠٤.

(٤) المرجع السابق، ص٢٠٥.

ومن ثم يرى أير أن الخلافات الفلسفية التقليدية هى في معظمها خلافات عقيمة ولا يمكن حسمها، وأن الطريق المأمون لحسمها يتلخص في أن نجيب على السؤال الخاص بما هو «هدف» و«منهج البحث الفلسفى»، وليس هناك شك في أن هذه المهمة - كما يشهد تاريخ الفلسفة - غاية في الصعوبة، وذلك لأنه إذا كان هناك تساؤلات قد تركها العلم للفلسفة لتتولى حلها والرد عليها، فإن عملية الاستبعاد المباشر سوف تؤدى - بالضرورة - إلى التخلص من هذه التساؤلات(١).

ولا شك أن الأسهام الأكبر الذى قدمه اير، هو محاولة تقديم صياغة ممكنة لمبدأ التحقق من المعنى Verification وتطويره محاولاً التغلب على الصعوبات التى واجهت الوضعيين المناطقة في تطبيقه. فهذا المبدأ هو الأساس الذى استند إليه أير في تفنيد إدعاءات الميتافيزيقيين وتحليل تصوراتهم(٢).

بالنسبة لاير الاعتقاد التجريبى بأننا نمتلك معرفة بشئ ما، يجب أن يكون له ضامن من خلال الخبرة الحسية Sense - experience، ومبدأ التحقق - في حقيقة الأمر - هو الضامن لتسويغ الاعتقاد التجريبى من خلال جعل شروط صدق القضية جزء من شروط عملية التحقق(٣). ويعد «شليك» أول من قدم صياغة محددة لمبدأ التحقق بقوله «إن معنى قضية ما يقوم في منهج تحقيقها(٤). فحتى نفهم قضية ما ينبغى أن نكون قادرين على أن نشير بدقة للحالات الفردية التى تجعل القضية صادقة. وكذلك الحالات التى تجعلها كاذبة. وهذه الحالات هى وقائع الخبرة، فالخبرة هى التى تقرر صدق القضايا أو كذبها. من خلال هذا المفهوم فإن شليك يذهب إلى أن لكل شخص ملاحظاته الخاصة، التى يمكن أن تعد أساساً للمعرفة العلمية التى يكونها عن ظواهر العالم الخارجى ووقائعه. وهذه المعرفة يُعبر عنها في قضايا، نختبرها عن طريق ما نستنبطه منها، بعد الرجوع للملاحظة. فإذا جاءت نتائج الاستنباطات متفقة

(١) بهاء درويش، الفرد جولس أير من الوضعية المنطقية إلى التحليل الفلسفى، الاسكندرية، ص١٠٠.

(2) Greg Frost Arnold, the large scale structure of logical empiricism: unity of science and limitation of metaphysics, the philosophy of science, vol.72, no.5, 2004, p.829.

(3) D.H.Mellor, the philosophy of A.j.Ayre, JOURNAL OF PHILOSOPHY, VOL.69, NO.267, 1994, P.107

(٤) آلفرد جولز آير، المسائل الرئيسية في الفلسفة ترجمة د.محمود زيدان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص ٢٠.

مع ملاحظاتنا المباشرة، فإننا في هذه الحالة نقول إن الخبرة أيدت النظرية وتصبح القضايا التى أمامنا (قضايا ملاحظة)[١].

أما صياغة أير للمبدأ كما عبر عنها في كتابه (اللغة، الصدق والمنطق) فهى على النحو التالى: «يكون لأى جملة معنى ودلالة تجريبية لدى شخص ما إذا عرف كيف يحقق القضية التى تعبر عنها هذه الجملة أى إذا عرف نوع الملاحظات التى تؤدى به بشروط معينة إلى قبول صدق القضية أو رفضها على أنها كاذبة، أما معانى الجمل التى تعبر عن قضايا المنطق والرياضيات البحتة فهى قضايا صادقة أو كاذبة بالقياس إلى صورتها فقط، وفيما عدا هذه القضايا فأى جملة إخبارية لا تخضع لمبدأ التحقيق عديمة المعنى ويجب استبعادها[٢].

لقد طور أير هذا المبدأ، حتى أنه يؤكد أن الصياغتان مختلفتان، حيث أن صياغته للمبدأ تتضمن أنه يعطينا قاعدة لتحديد معنى ودلالة الجملة، أما في صياغة شليك فيضيف المبدأ إلى ذلك خطوة أخرى هى أعطاؤنا إجراء معيناً نحدد به معنى الجملة. وكثيرا ما قيل أن الصياغتين متشابهتان لكنهما ليستا كذلك. فقد ميز أير بين نوعين من التحقق وهو يتحدث عن إمكان التحقيق من الوجهة المنطقية: التحقيق القوى والتحقيق الضعيف، والتحقق القوى يكون حين تأتى الخبرة الحسية مُدعمة لصدق القضايا تدعيماً تاماً وكاملاً. وأما التحقق الضعيف فيكون حين تأتى الخبرة مدعمة لصدق القضية على وجه الاحتمال. ولما كانت القوانين العلمية في العلوم الطبيعية من النوع الضعيف وكذلك الأمر في القضايا التى تحدثنا عن حوادث الماضى، كقضايا التاريخ، لأنه مهما اجتمع لديك من الشواهد على حادث مضى فهى كلها لا تقع بيقين، ومن ثم فهي قضايا احتمالية الصدق. وهذا ما جعل أير يصف المبدأ الذى ينادى به في تحقيق العلوم التجريبية بأنه «مبدأ إمكان التحقيق».

لكن هناك إشكالية في إمكان التحقيق على هذا النحو، يثيرها الناقدون وهو أنه بناء على هذا المقياس لا يمكن تحقيق القضايا العلمية الكلية ولا قضايا التاريخ التى تحدثنا عن شيء مضى، فأما القضايا العلمية الكلية فمتعذرة، على هذا المقياس، لأننا مثلاً حين نقول أن الخشب يطفو على الماء لا نسمى قطعة بذاتها من الخشب ولا منطقة بعينها من الماء وبالتالى لا يكون في مستطاعنا أن نستنبط من مثل هذه العبارة الكلية نوع الخبرة الحسية التى ستصادفنا إبان

(١) ماهر عبد القادر، فلسفة التحليل المعاصر، ص.٢٨٠.

(2) Ayer.A.J, Language, Truth and Logic, Dover publication, new yourk,1994 P.,35.

عملية التحقق[١]. من أجل ذلك تحوط أير في وصف طريقة إمكان التحقيق في مجال العلوم التجريبية، فقال أن القضية التى نقبلها على أنها ذات مضمون واقعى ليست هى التى يمكننا أن نترجمها بذاتها إلى عبارات تصف الخبرة التى سنلاقيها مباشرة، بل هى القضية التى نستطيع أن نستدل بعض الخبرات منها ومن قضايا أخرى تضاف إليها، على شرط ألا يكون في مستطاعنا أن نستبدل تلك الخبرات من هذه القضايا الأخرى وحدها[٢].

على هذا النحو طبق أير معيار التحقيق من المعنى، وانتهى إلى أن القضايا ذات المعنى هى القضايا التحليلية - قضايا المنطق والرياضيات من جهة، والقضايا التركيبية القابلة للتحقق تجريبياً - قضايا العلم الطبيعى، من جهة اخري.ومن ثم تم استبعاد الميتافيزيقا باعتبار أنها تتجاوز حدود الخبرة الممكنة ولم يتبقى للفلسفة سوى النشاط التحليلى ولنا أن نتساءل الآن ما هى طبيعة التحليل الفلسفى عند أير؟

يقول أير موضحا لطبيعة التحليل الفلسفي «لا يجب أن يفهم من تقريرنا أن الفلسفة تمدنا بالتعريفات أن وظيفة الفيلسوف وضع قاموس أو معجم من التعريفات، لأن التعريفات التى يكون من المطلوب أن تذودنا بها الفلسفة هى من نوع يختلف عن التعريفات التى نتوقع وجودها في المعاجم، فنحن نبحث في المعجم أساساً عما قد يسمى بالتعريفات الصريحة، أما في الفلسفة نبحث عن التعريفات في الاستخدام[٣]، إن تعريف رمز تعريفاً صريحاً يتم بإحلال رمز آخر مرادف له في مكانه وليست هذه مهمة الفلسفة و إنما ما تعنى به الفلسفة هو تقديم تعريفات في الاستخدام وذلك بتوضيح كيف أن القضايا التى يوجد فيها الرمز بطريقة لها دلالة، يمكن ترجمتها إلى قضايا مكافئة لا تحتوى على نفس الرمز أو أى مرادف له[٤].

وقد وجد أير في نظرية رسل للأوصاف توضيحاً جيداً لعملية التعريف، فهى تذهب إلى أن كل جملة تحتوى على تعبير رمزى، يمكن ترجمتها إلى جملة لا تحتوى على أى تعبير مماثل ولكنها تحتوى على جملة فرعية تعلن أن موضوعاً واحداً - وواحداً فقط - يحتوى على صفة ما، أو أنه لا يوجد موضوع واحد يحتوى على صفة ما. وأير في قوله أن التحليل هو التعريف

(١) زكي نجيب محمود، موقف من الميتافيزيقا، دار الشروق، القاهره، ١٩٩٣، ص٩٢.

(2) Ayer.A.J, Language, Truth and Logic, P.39.

(3) ibid,p.59.

(٤) بهاء درويش، الفرد جولس أير، ص ١٠٦.

كان متأثراً بهذه النظرية. ومن الأمثلة الدالة على ذلك القضية «المربع الدائرى لا يمكن أن يوجد» والقضية «مؤلف ويفرلى هو سكوت» فالقضية الأولى يمكن ترجمتها إلى «لا يمكن لشئ واحد أن يكون مربعاً ودائرة معاً، والثانية تكون مكافئة للقول «شخص واحد - وواحد فقط - كتب ويفرلى وهذا الشخص هو سكوت». والمثال الأول هنا يقدم لنا توضيحاً نموذجياً للطريقة التى نستبعد بها أية عبارة وصفية محددة موضوعاً لقضية وجودية سالفة، والمثال الثانى للطريقة التى نستبعد بها عبارة وصفية محددة توجد في أى نوع آخر من القضايا. فالمثالان معاً يوضحان لنا كيف نعبر عن أية قضية - تتضمن عبارة وصفية محددة - دون أن تتضمن مثل هذه العبارات. وهكذا فهما معا يقدمان تعريفاً لهذه العبارات في استخدامها[١].

ويوضح أير أن الغرض من التعريف الفلسفى يكمن في إزالة ألوان الخلط التى تنشأ عن فهمنا الناقص لأنماط معينة من الجمل في لغتنا، حين لا يكون من المستطاع تلبية هذه الحاجة بواسطة إعداد مرادف لأى رمز، إما لأنه ليس ثمة مرادف أو خلافاً لهذا لأن المرادفات الميسورة لنا غير واضحة بنفس الطريقة التى عليها الرمز الذى يعود إليه الخلط[٢]. ويرى أير أن التوضيح الفلسفى الكامل لأية لغة ينحصر في سرد أنواع القضايا ذات الدلالة في هذه اللغة، ثم عرض علاقات التكافؤ بين القضايا التى تنتمى لأنواع مختلفة. فالقضيتان تكون من نفس النوع إذا كان لكل رمز في أحدى القضيتين رمز آخر من نفس النوع يطابقه في القضية الثانية. فيقول عن رمزين أنهما من نفس النوع إذا كان من الممكن دائماً إحلال أحدهما محل الآخر دون أن ينتج عن هذا الإحلال أن تتحول القضية ذات الدلالة إلى لغو لا معنى له. مثل هذا النسق من التعريفات في استخدامها سوف يكشف عما يسمى «بنية اللغة موضوع البحث».

ويؤكد أير على أنه من الخطأ أن نعتقد أن غرض التعريفات الفلسفية هو الكشف عن معنى رموز معينة، لأن هذا القول لا يوضح صراحة ما الذى يمارسه الفيلسوف. فالمعنى هو ذاته رمز غامض جداً، وهذا ما جعل أير يعرف علاقة التكافؤ دون الأشارة إلى (المعنى). كما أنه يشك أن تكون كل القضايا المتكافئة - طبقاً للتعريف الذى قدمه - لها نفس المعنى. فإذا كان القول أن قضيتين لهما نفس المعنى يعنى أن التأثير الناتج عن حدوث إحداهما هو نفس التأثير

(١) المرجع السابق، ص ١٠٧.

(2) Ayer.A.J, Language, Truth and Logic, P.61.

الناتج عن الأخرى على أفكار وتصرفات نفس الشخص، وهذا هو المعنى المستخدم بصفة غالبة للمعنى، فإنه من الممكن أن تكون هناك قضيتان ليس لهما نفس التأثير. ومن هنا يجب تجنب القول بأن الفلسفة تعنى بمعنى الرموز.

ويرى أير أن ما يسهل عملية تحليل اللغة هو استخدام نسق مصطنع من الرموز يكون تركيبه معروفاً. والمثال المعروف جيداً لهذه العملية هو النسق اللوجستيقى الذى استخدمه (رسل ووايتهد) في «برنكيبيا مايتماتيكا»[١].

وفي النهاية يمكن القول بأن الفهم الخاطئ لأنواع معينة من القضايا وكذلك فهم العبارات الوصفية على أنها رموز تطبيقية هو ما أدى إلى تسرب الميتافيزيقا - من هنا فإن التحليل الفلسفى لهذه القضايا وهذه العبارات بتقديم تعريفات - لا مرادفات - لرموزها يساعد على زيادة فهم القضايا والعبارات كما يجعلنا على دراية بالتركيبات المنطقية الخفية.

تعقيب ونقد:

يمكن الخلوص من تحليلات الوضعيين المناطقة السابقة التى نتيجة مفادها أن نمط التحليل الذين مارسوه تحليلاً لغوياً منطقياً. عمدوا فيه إلى الدمج بين اللغة والمنطق، أو بين قواعد الفكر (المنطق) و(اللغة) وسيلة التعبير عن هذه الأفكار وحاولوا إيجاد نوع من التطابق أو التجانس بينهما ولكنهم أخفقوا في تحقيق ذلك، لماذا؟

لقد كان معيار التحقق من المعنى أو امكان التحقق، هو المبدأ الذى اتخذه الوضعيون معياراً للمعنى، ولكنه لم يكن يستخدم لتحديد الصدق أو الكذب الواقعى لقضية ما وإنما كان مستخدماً لتحديد الشرط الضرورى للبحث في الصدق، أى الشرط الضرورى الذى يجعل من القضية ذات معنى[٢].

ولنا أن نتساءل - هنا - هل يوجد مثل هذا الشرط الضرورى والكاف الذى يعول عليه أنصار الوضعية المنطقية، هل من الممكن الحديث عن شرط كاف وضرورى في قضايا العلوم التأليفية. يكفى أن نشير هنا إلى الصعوبات التى واجهها هذا المبدأ والتى أقر بها

(١) بهاء درويش، الفرد جولس أير، ص ١١١.

(٢) سيد التفادي، معيار الصدق والمعني في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩١، ص.٤٨

الوضعيون أنفسهم، للإجابة على هذا السؤال. فقد وجه إلى هذا المبدأ اعتراضين خطيرين هما:

الأول: أن معيار المعنى الذى يفترض القدرة على التحقيق يمكن أن يؤدى إلى استبعاد العلم التجريبى نفسه، وهو ذلك العلم الذى تستند إليه الوضعية في أطروحاتها.

الثانى: أن معيار المعني يعتمد على افتراض عدم وجود تبرير منطقى أو تجريبى لقضايا الميتافيزيقا والتى تم استبعادها لهذا السبب، فما هو مصير مبدأ التحقق نفسه إذا علمنا أنه يفتقر إلى هذا المعيار؟

إذا سلمنا بالقول - طبقاً لأراء الوضعيين المناطقة - أنه ينبغى على القضية المأثورة ذات المعنى أن تكون قادرة على التحقيق بالاستشهاد المباشر بما هو ماثل لخبرتنا الحسية، فإن هذا المعيار نفسه يبدأ بصعوبة ألا وهى أن قضايا العلم التجريبى المتقدم كالفيزياء على سبيل المثال تستخدم تجريدات عالية وصياغات رياضية شديدة التعقيد في نظرياتها فكيف نحتكم إلى المعطيات الحسية لتحقيق أو تكذيب مثل هذه القضايا النظرية؟ إن أى استخدام سلبى لاستبعاد الميتافيزيقا يتطلب أن نكون قادرين على أن نستشهد بثقة ووضوح على العلم ذاته، ذلك العلم الذى يعتمد على مبدأ إمكانية التحقيق - كما يذهب إلى ذلك الوضعيين - فإذا كان يصعب الاستعانة بمبدأ التحقيق على إثبات أو تكذيب نظريات العلم المجردة، فكيف نسمح لأنفسنا بأن نستبعد الميتافيزيقا لنفس السبب؟[١]

لقد كان الغرض من وراء التحليل المنطقى هو تحليل النظريات العلمية و إعطاءها الشكل الخالص من الصرامة والخالى من كل ميتافيزيقا. ولكن إذا كان هذا ممكنا فإن كل نظرية علمية تحقق هذا المطلب سوف تصبح نظرية نهائية. وبهذه الصيغة ستقع خارج التاريخ، والذى هو في الواقع دائماً تاريخ العودة والتصحيحات الذاتية والثورات الحقيقية. وربما يكون هذا هو سبب خسوف الوضعية المنطقية وهو الطابع المجرد لمثال العلم الخالص الذى ابتدعوه. وبالاعتماد على النتائج التى حققوها انتهوا إلى نسيان العلم الواقعى والطريقة التى تحقق بها في إطار التاريخ، الأمر الذى دافع عنه المفكرين المعروفين فيما يسمى (ما بعد الوضعية الجديدة) أمثال، بوبر، لكاتوس، فيرابند من المدافعين عن الاتصال بين فلسفة العلوم وتاريخ

(١) المرجع السابق، ص٥٠.

العلم[١]. ربما يكون أيضاً من ضمن أسباب إخفاق الوضعية المنطقية إدعائها أنها هى وحدها القادرة على بلوغ الحقيقة.

ثالثا: نقد الفلسفة التحليلية في إطار الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم

ثمة من يرى أن الفلسفة التحليلية في حالتها الراهنة تعكس مزيج من الانتصار والأزمة، التى تحتاج إلى تدقيق. فمن ناحية هى ذات قوة مهيمنة داخل الفلسفة الغربية وقد سادت لعدة عقود في العالم الناطق باللغة الانجليزية، وكذلك بدأت في الانتشار في المانيا وفرنسا علاوة على أنها حركة ذات طابع نسقى. ومن ناحية أخرى هناك شائعات مستمرة عن زوال الفلسفة التحليلية أو القول بأنها فلسفة فاقدة للهوية، لأنها أصبحت متنوعة إلى حد كبير مما أدى إلى فقدان خصائصها المميزة[٢].

والحق أن رؤيتنا هى أن هذا التنوع والتعدد في التيارات والاتجاهات الفلسفية التحليلية ليس بذى مشكلة كبرى، طالما أن المنهج التحليلى هو العنصر الفعال في هذه الفلسفات، وهو نقطة الانطلاق.

فهناك البعض من الفلاسفة التحليليين اللذين يروا أن مهمتهم هى اكتشاف الخصائص العامة (الكلية) في سمات الأشياء. وهناك البعض الآخر الذى يرى أن مهمته هى تحليل المفاهيم وخاصة تلك التى تؤدى إلى نوع من الإرباك المنطقى. وهناك فئة أخرى ينصب اهتمامها على الاستخدام السليم لبعض التعبيرات اللفظية وخاصة تلك التى فيها تشابهات ناقصة أو مضللة في الاستخدام.

هذه الاستخدامات هى في واقع الأمر إجابة على التساؤلات:

- ما هو التفكير؟
- ها هو تحليل المفاهيم (العلة، القوة، الضرورة، العدد... إلخ)؟
- ما هى القواعد أو الشروط الضرورية والكافية للاستخدام السليم للألفاظ أو التعبيرات الرمزية الأخرى؟

---

(١) غيمونا ليدفيكو، موقف من الوضعية المنطقية، ترجمة الزواوي باغوره، مجلة ادب ونقد، ١٩٩٨.

(2) Hans Johann, What is Analytic Philosophy,P,14.

هذه هى بعض أشكال أو أنماط الأسئلة الفلسفية من قبل أولئك اللذين يقال عنهم فلاسفة تحليليين[١]. ومن ثم فإنه لا يمكننا أن نرسم خط فاصل بين الفلسفة التحليلية وغير التحليلية إلا من خلال المنهج التحليلى. حتى وأن اختلفت موضوعات التحليل فيما بين هؤلاء الفلاسفة.

ومن ضمن عناصر الأزمة التى تمر بها الفلسفة التحليلية - على نحو ما ترى بعض الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم - فقدانها للهوية، فهل الفلسفة التحليلية مرتبطة بالفلسفة تاريخياً، لها جذور تاريخية ممتدة في النسيج الفلسفى؟ أم أنها حركة منذ قرن مضى من الزمان؟[٢]

يمكن تجاوز هذه الأزمة من خلال تجاوز الطرق التقليدية في تعريف الفلسفة التحليلية، والتى غالباً ما تكون قاصرة ومحددة بوجهة نظر أحادية ترى أن الفلسفة التحليلية تنصب على أمرين: الارتباط بالمنطق ورفض الميتافيزيقا. فبحلول القرن العشرين كان يعتقد أن الفلسفة التحليلية قد أدت إلى ثورة في الفلسفة. وهذا يعنى أن ميلاد الفلسفة التحليلية عادة ما ينظر إليها ليست كبداية لمدرسة فلسفية أخرى، بقدر ما كانت بداية لحقبة جديدة في الفلسفة بشكل عام، وهو التحول اللغوى، حيث أصبح يُنظر للغة على أنها الموضوع الصحيح للفلسفة. صحيح أن الفلاسفة التحليليين ممن وجهوا اهتمامهم بالتحليل اللغوى والمنطقى. قد أسهموا في تحقيق نوع من الدقة والطرفة و إزالة الخلط وألوان الغموض في العديد من المصطلحات والعبارات، بيد أن القول بأن فكرة التحليل المنطقى للغة هو العمل الوحيد المنوطه به الفلسفة على نحو ما ذهب أنصار مدرسة كمبردج والوضعية المنطقية أمر يحتاج إلى إعادة تصحيح.

لأن التحليل اللغوى بمفرده غير قادر على تعقل الواقع واكتشاف عناصر جديدة به، لا بد من إظهار الفكر السلبى الديالكتيكى - على نحو ما ذهب ماركيوز - لكى يكون ممكناً حصول التغير الاجتماعى. والتحليل اللغوى يجعل الفكر يكف عن أن يكون نقدياً[٣].

وربما هذا ما دعى إلى ظهرو الاتجاهات ما بعد الوضعية ممن ركزوا على جانب مهم تغفله الفلسفة التحليلية وهو (تاريخ العلم) خاصاً بعد ظهور كتاب توماس كون (بنيه الثورات العلمية) والذى أكد من خلاله على الخطر الذى يهدد العلم وفلسفته نتيجة تجاهل تاريخ العلم،

(1) W.B.Gallia, The limitation of analytic philosophy, journal of analysis, vol.9, no.3, 1949, p37.

(2) Auron Preston, Prolegomena to any future of analytic philosophy,p.450.

(٣) هربرت ماركيوز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، دار الأداب، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٠٥.

فمحاولة تعقب المفاهيم والنظريات والمناهج العلمية عبر تاريخ فلسفة العلم من الموضوعات غير المطروحة على ساحة البحث الأبستيمولوجى الوضعى المنطقى لعدم جدواها بالنسبة لهم، إذ أن التحليل المنطقى الصارم للمفاهيم والتصورات النظرية هو الذى يشكل بنية النظرية العلمية.

الخاتمة

خلص البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلى:

- لا انفصام بين المنهج التحليلى والفلسفة التحليلية. فالمنهج التحليلى هو الأداة التى وظفها الفلاسفة التحليليين ولكن بمنظورات مختلفة. بيد أن عمليات القسمة والتجزئة والمقارنة والرد وغيرها من العمليات العقلية التى يتضمنها هذا المنهج واحدة. و إنما وجه الاختلاف بين الفلسفات التحليلية مرجعه في الإجابة على هذا السؤال: ما الذى يتم تحليله؟ وفي أى سياق؟ فقد كان الهدف من التحليل عند رسل تحليل العالم في ابسط مكوناته وهي الوقائع الذرية، وعند فتجنشتين تحليل اللغة بربطها بمعان الألفاظ ومدلولاتها واستعمالاتها في الحياه اليومية.أما أصحاب الوضعية المنطقية فقد كان الغرض من تحليلاتهم هو التوضيح للأفكار عن طريق تحليل العبارات التي ترد فيها.
- ثمة تداخل بين المنهج التحليلى والمنهج التركيبى، أو بالأحرى ثمة تكامل بينهما. وحينما يتم التركيز على أحداهما و إغفال الآخر تكون وجهة النظر قاصرة ومحددة. فالفلسفة في صميم عملها نقد وتغيير، وجهات نظر متنوعة، اكتشاف و إبداع وهذا الأمر مرتبط بالمنهج التركيبى والذى من شأنه أن يعيد بناء الموضوع الذى يخضع للتحليل و يؤدى إلى إدراك شيء جديد فيه. وهذا الأمر الذى أغفلته الاتجاهات التى اعتمدت على التحليل اللغوى المنطقى لفلسفة العلم مما أدى إلى تجاوز هذه الاتجاهات و إخلال فلسفات أخرى بديلة.
- ثمة تحول قد طرأ بالفعل على الفلسفة بتحويل موضوعها الأساسى إلى اللغة.والفلسفة التحليلية أكثر من غيرها من التوجهات الفلسفية قد تبنت هذا المشروع ودافعت عنه.بل اعتبرت أن التحليل المنطقي للغة هو السبيل الوحيد للوصول إلى تفسير شامل

وتام. وهـذه الرؤية تحديداً هي التي أدت إلى توجيه سـهام النقد لهذه التوجهات. فلا يوجد أولا ما يسـمى بالتحليل التام أو الشامل، و إنما يوجد ما يسمى بالتحليل المُقنع - على نحو ما ذكر - «بارنز»، وثانيا فإن التحليل اللغوي و إن كان له أهميته في الإيضاح و إزالـة الغمـوض عن المصطلحات والعبـارات موضوع التحليل فهـو نمط من أنماط التحليل وليس كل التحليل لغويا.

- يرتبط تبعا لذلك منهج التحليل - أكثر من غيره من المناهج - بمعايير الصدق والاختبار والتأييد.